﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ [النساء: 162]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أنْ بيّن اللّه قبائحَ اليهودِ ومعايبَهم وجزاءَهم عليها، وأنّه عذابٌ شاملٌ للكلّ، ذكرَ الممدُوحين منهم، المُستَثنِين من استحقاقِ العذابِ، وهم فئةٌ مؤمنةٌ من الرّاسخين في علم التّوراةِ، الّذين تحقّقُوا من أمرِ النبيِّ ﷺ وعلاماتِه المذكورة عندَهُم، فآمنوا إيمانًا صادقًا باللّه، وبما أنزلَ إلى محمّدٍ ﷺ وإلى بقيّة الرّسلِ السّابقين، وهم لا يفرّقون بين أحدٍ منهم، وأدّوا فرائضَ اللّه، أولئك سينالون من ربّهم أجرًا عظيمًا وهو الجنّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: أي: الثّابتون المستقرّون، والرّسوخُ في الأصل: ثبوتُ الشّيءِ بتمكّنٍ، ثمّ استُعير ذلك لمنْ تحلّى بالعِلْمِ واختلطَ به لحمُه ودمُه، فيتَحقّق عنده تحقّقًا، إذا عرضَتْ له شُبهة لم يختلِج لها قلبُه ولم يتلعْثَم لها لسانُه، وكان ابن عباسٍ رضي الله عنهما يَصِفُ نفسَه بذلك، ويقول: "أنا منَ الرّاسخين في العلْم" وصدَقَ، وهذا منه إخبارٌ لا تزكيةٌ - رضي الله عنهما -[1].

2) ﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾: العَينُ واللّامُ والميمُ أَصلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَن غَيرِهِ، مِن ذَلِكَ العَلَامَةُ، وهِيَ مَعرُوفَةٌ[2].

ومن ذلك المعنى المحوريِّ أُخِذَ معنى العِلْم وهو: "الاعتقادُ الجازمُ الثّابتُ المُطابق للواقعِ"؛ فكونُه اعتقادًا هو أنّه مَعْنًى أو حكمٌ تربّى في القلبِ أخذًا من دلالةٍ أو لافتٍ قويّ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (رسخ).وينظر قول ابن عباس في تفسير الآية: 7 من سورة آل عمران: ابن جرير، جامع البيان: 5/220، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/11.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).

أو حجّة قويّة، وكونُه جازمًا يؤخذ من قوة اللّافتِ، وكونُه ثابتًا يُؤخذ من ثباتِ اللّافتِ واللّفْتِ، وكونُه مطابقًا للواقع يرجعُ أيضًا إلى قوّةِ اللّفت ودقّته[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

استثنى الله من استحقاقِ العذابِ الرَّاسخين في العِلْمِ الثّابتين فيه من اليهود، وهم المؤمنون إيمانًا صادقًا بالله وبما أنزل عليك، وبما أنزل على مَن قبلَك مِن الرّسل، وخصَّ المقيمين الصّلاةَ منهم المؤدّين لها تامّة الشّروطِ والأركان، والمُؤتون زكاةَ أموالِهم لمن يستحقّها، والمُؤمنون بالله واليومِ الآخر إيمانًا حقيقيًّا، هؤلاءِ الموصُوفُون بهذه الصّفاتِ، وهي صفاتُ المؤمنين إيمانًا حقًّا البعيدين في درجات الكمال، سيؤتيهم ربُّهم أجرًا عظيمًا من عندِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

حُسنُ الاستِدراكِ في قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾:

الاستدراك داخلٌ بين الكفر وعقابه، والإيمان وجزائه

﴿لَّٰكِنِ﴾: استِدراكٌ ناشئٌ عَلى ما يوهِمُهُ الكَلامُ السّابقُ ابتداءً من قَوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النّساء: 153] مِنْ تَوَغُّلِهِمْ في الضّلالَةِ حَتّى لا يُرجى لِأَحَدٍ مِنهُم خَيرٌ وصَلاحٌ، فاستُدرِكَ بِأَنَّ الرّاسِخينَ في العِلْمِ مِنهُم لَيْسوا كَما تُوُهِّمَ، فهُم يُؤمِنونَ بِالقُرآنِ مِثلُ: عَبدِ اللّه بنِ سَلامٍ و مُخَيْريقٍ[2].

ومَجيءُ ﴿لَّٰكِنِ﴾ هُنا في غايَةِ الحُسنِ، لأَنَّها داخِلَةٌ بَينَ نَقيضَينِ وجَزائِهِما، وهُمَا: الكافِرونَ والعَذابُ الأَليمُ، والمُؤمِنونَ والأَجرُ العَظِيمُ[3].

وذِكْرُ العِلْمِ الرّاسخ والإيمان الّذي يفتحُ القلبَ للنّور، بوصفهما طريقًا إلى المعرفةِ الصّحيحةِ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (علم).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/28.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/134.

نكتةُ تخصيصِ المُقِيمِينَ الصّلاةَ بالذّكر:

للتّنويهِ بهم وبيانِ فضلِ الصّلاة

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾: في إعرابها أقوال: أظهرُها: أنّه منصوبٌ على القطْع الّذي يُفيد المدح، أي: وأمْدَح، أو أعني، أو أخصُّ المُقيمين، وهذا القطعُ مفيدٌ لبيان فضل الصّلاة، وإبرازِ قيمةِ إقامتِها في هذا الموضعِ، فكثر الكلامُ في الوصف بأن جعل في جملة أخرى، وعلى هذا الوجه يجبُ أن يكونَ خبرُ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ هو جملة: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وليس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ﴾؛ لأنَّ القطعَ إنَّما يَكونُ بعدَ تمامِ الكلام... وعلى القطعِ خرَّج سيبويه ذلك[1].

وقال الزَّمخشريُّ: "ولا يُلتَفَتُ إلى ما زَعَموا من وقوعه لحنًا في خطّ المُصحف، وربّما التفتَ إليه مَن لم ينظُر في (الكتاب)، ولمْ يَعرفْ مذاهبَ العرَب وما لهم في النّصبِ على الاختِصاصِ من الافتِنان، وغَبِيَ عليه أنّ السّابقينّ الأوّلينَ الّذينَ مَثَلُهُم في التّوراةِ ومثَلُهُم في الإنجيلِ كانوا أبعدَ همةً في الغَيرةِ على الإسلامِ وذبِّ المطاعِنِ عنه مِن أن يَتْركوا في كتابِ اللّه ثُلمَةً ليَسُدّها مَن بعدَهم، وخَرقًا يَرْفوهُ مَن يَلْحَقُ بهم"[2].

عِلَّةُ تخْصيص عبادتي الصَّلاةِ والزّكاةِ بالذكرِ:

شرفهما وتعدّي منفعتهما

وخصَّ هاتين العبادتين بالذّكر هنا لأنَّ الصّلاةَ أشرفُ الطّاعاتِ البدنيّةِ، كما أنَّ الزّكاةَ أشرفُ الطّاعاتِ الماليّةِ، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود والإحسان إلى العبيد[3].

دلالةُ اسمِ الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾:

علوُّ مرتبةِ المشارِ إليهم

بيّن ﷻ جزاءَ هؤلاء المؤمنين، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾، وأشار إليهم بإشارةِ البعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ التي تدلُّ على علوّ مرتبةِ المشار إليه؛ أي: أولئك الّذين نالوا هذه الخصالَ كلّها، فآمَنوا بكلّ الأنبياءِ وتهذّبت

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/395، 396.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/582.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 103.

ضمائرُهم بالصّلاة، وتعاونُوا فيما بينهم بالزّكاة، وآمنوا باللّه تعالى حقّ الإيمان، وصدّقوا بالبعثِ والنّشور، وصبرُوا في السّرّاء والضّرّاء، هؤلاء المتَّصفُون بهذه الصّفاتِ يستحقُّون بسَبَبِها جزاءً عظيمًا.

دلالةُ كثرة التأكيداتِ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

بيانُ منزلتِهم برسوخ العلم والإيمان الكامل عند الله

وقد أكّدَ ذلك الجزاءَ بثلاثةِ مؤكِّداتٍ:

أوّلها: السّين في قوله: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾؛ لأنّها لتأكيدِ الوقوع في المستقبل.

وثانيها: إسنادُ العطاءِ إلى اللّه تعالى القادر على كلِّ شيءٍ، وهو لا يخلفُ الميعاد.

ثالثها: تنكيرُ الأجر، ووصْفُه بالعظمةِ، فهو أجرٌ عظيمٌ لا يجري في خيال البشر، ويعلَمُه خالقُ البشر[1].

وقرأ جمهور القرّاء ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بنون العظَمة، على الالتفاتِ من الغَيْبة إلى التّكلّم، والفاعل ضميرٌ مستترٌ وجوبًا تقديره (نحن) يعود على اللّه تعالى.

وقرأ حمزة، وخلف العاشر: ﴿سَيُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء التحْتيّة، وذلك جريًا على السّياق، والفاعل ضميرٌ تقديره (هو) يعود على اللّه تعالى[2].

بلاغةُ المقابلةِ[3] بين المؤمنين وأجرِهم، والكافرين وعذابِهم:

بيانُ فضلِ المؤمنين وجزائهم، بعد ذكر الكافرين وعذابِهم

بعد ما ذكر اللّه جزاءَ الكافرين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بيّنَ جزاءَ المؤمنين في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ فقابل معنيين بمعنيين، قابلَ الكفرَ بالإيمان، والعذابَ الأليمَ بالأجرِ العظيم؛ ليتَّضحَ الفرقُ بين من يشرحُ اللّه صدرَه للإيمان، ويعملُ بما يعلَمُ، ومن طَبَعَ اللّه على قلبِه، وافْتَرى على اللّه زورًا وبهتانًا.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1961.

(2) ابن الجزري، النشر: 2/253، ومخيسن، الهادي شرح طيبة النشر: 2/165.

(3) عرف القَزْويني المقابلة بقوله: "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب"، ينظر: القزويني، التلخيص، ص: 352.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»